

آليات الحجاج وبنية الخطاب في المنام الكبير للوهراني: مقاربة تداولية

Argumentation Mechanisms and Discourse Structure in Al-Wahrani's *Al-Manam Al-Kabir*: A Pragmatic Approachأمنة شاوي¹¹ جامعة 8 ماي 1945 قالمة، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية (الجزائر)، chaoui.amina@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2026/05/30 تاريخ القبول: 2026/08/17 تاريخ النشر: 2026/10/01

ملخص:

يروم هذا البحث استكشاف آليات الحجاج وبنية الخطاب في نص "المنام الكبير" للوهراني، من خلال تطبيق مقاربة تداولية تفكك استراتيجيات الإقناع الكامنة في البنية السردية، ويسعى إلى بيان كيف تحولت الرؤيا المنامية من أداة تخيلية إلى قناع أيديولوجي ونقدي، مرتكزا على دراسة الروابط الحجاجية والسياق التفاعلي الذي وظفه الأديب لتمير مواقف الفكرية والسياسية والاجتماعية في حواضر العصر الأيوبي، والكشف عن مقاصده الحوارية الخفية.

وخلص إلى أن "المنام الكبير" لم يكن مجرد نص سردي عابر، بل خطبا حجاجيا بامتياز يمتلك طاقة إقناعية هائلة؛ حيث نجح الوهراني في توظيف الأفعال التوجيهية والالتزامية ببراعة للتأثير في المتلقي. كما أثبت أن البنية التداولية للنص استطاعت ترويض المتناقضات الفكرية لعصره عبر آليات التهكم والرمزية، مما جعل الخطاب المنامي سلطة مضادة قادرة على خلخلة السائد، محققا بذلك وظيفة تواصلية حجاجية تجاوزت حدود الترف الأدبي.

كلمات مفتاحية: الحجاج، التداولية، المنام، السخرية، الوهراني.

Abstract:

This research aims to explore the argumentative mechanisms and discourse structure in Al-Wahrani's "Al-Manam Al-Kabir" using a pragmatic approach that deconstructs the persuasive strategies embedded in the narrative structure. It demonstrates how the oneiric vision shifted from a fictional tool into an ideological and critical mask, drawing on argumentative connectors and the interactive context employed by the author to convey his intellectual, political, and social stances within Ayyubid cities, while uncovering his latent dialogic intents.

The study concludes that "Al-Manam Al-Kabir" was not merely a transient narrative, but an inherently argumentative discourse with immense persuasive power. Al-Wahrani masterfully deployed directive and commissive speech acts to influence the recipient. Furthermore, the pragmatic structure tamed the intellectual contradictions of his era through irony and symbolism, transforming the oneiric discourse into a counter-authority capable of destabilizing the status quo, thereby achieving a communicative, argumentative function that transcended mere literary luxury.

Keywords: argumentation, pragmatics, oneiric, irony, Al-Wahrani.

*المؤلف المرسل: أمنة شاوي

1. مقدمة

يعدّ الحجاج الموجه التداولي الأبرز في تشكيل بنيات الخطاب وتوجيه مقاصده، ولا يشذ النثر الجزائري القديم عن هذه القاعدة؛ إذ يبرز نص المنام الكبير للوهراني الذي تتداخل فيه الأبعاد السردية بالاستراتيجيات الإقناعية، مستغلا رمزية الرؤيا المنامية لتمرير مواقف نقدية حادة تجاه واقع عصره السياسي والاجتماعي.

يقوم هذا البحث على إشكال، مفاده: كيف أسهمت آليات الحجاج في تشكيل بنية الخطاب داخل المنام الكبير في أبعادها التداولية والإقناعية؟ وينبثق عنه الفرضيات الآتية: أنّ بنية المنام مثّلت استراتيجية تداولية وقائية لتمرير الحجاج والنقد دون صدام مباشر مع السلطة، وأنّ البنية السردية والحوارية في النص وُظّفت كأدوات خادمة ومقوية للمقصد الحجاجي.

وتسعى الدراسة إلى كشف آليات التفاعل بين بنية الخطاب وسياقها التداولي في المنام، وإبراز طاقاته الإقناعية الكامنة، وفق المقاربة التداولية بآلياتها الحجاجية.

استفتح الوهراني متن منامه بمقطوعة شعرية صيغت على بحر الطويل، استثمرها كعتبة نصية لبثّ مشاعر الغبطة والارتياح التي صاحبت تلقّيه مراسلات شيخه، وقد سعى من خلال هذه الأبيات إلى إبراز وشائج القربى الروحية والمكانة الاعتبارية التي يحظى بها الشيخ في نفسه، معرّجا في الوقت ذاته على تشخيص الحالة الوجدانية والظروف المتغيرة التي أحاطت بذاته في تلك اللحظة؛ حيث يقول:

أَيَا نَفَحَةٍ أَهْدَتْ إِلَيَّ تَحِيَّةً ... يَنْمُ عَلَيَّا الْعَرْفُ مِنْ أُمِّ سَالِمٍ
مَشَتْ فِي أَرَاكِ الْوَادِيَيْنِ فَتَبَّهَتْ ... بِهِ كُلَّ نَشْوَانِ الْمَعَاظِفِ نَاعِمٍ
أَلَا إِنَّمَا أَحْكِي بِدَمْعِي وَلَوْعَتِي ... بُكَاءَ الْغَوَادِي وَانْتِحَابَ الْحَمَائِمِ

ووظف هذه التقنية الاستهلالية في خاتمة منامه أيضا؛ إذ اتخذ منها وسيلة حجاجية لاستدراج القارئ وتحفيزه على تتبع مآلات النص ومواصلة القراءة، مؤكدا من خلالها على ديمومة الأثر الوجداني، حيث يقول من بحر الطويل أيضا:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَانِي سَاعَةً ... أَجَرَّرَ ذَيْلِي فِي ذُبُولِ سَتِيرٍ
وَهَلْ أَرُدُّ الْمَاءَ الَّذِي عِنْدَ دَمَرٍ ... أَصِيلًا وَحَوْلِي نَاصِرُ بْنُ مَنِيرٍ
فَاللَّهُ يَطْوِي بِسَاطِ الْبُعْدِ عَنْ كُتُبٍ ... حَتَّى يَرَى الشَّمْلَ مِنْهُمْ وَهُوَ مَأْمُولٌ

يُمكن القول إنّ للاستهلال وظيفة حجاجية إقناعية ذات أبعاد تداولية، تهدف إلى استمالة المتلقي والتأثير في ذائقته الوجدانية، بما يُحفزه على الاستزادة من القراءة وتتبع تفاصيل النص. وفي هذا السياق، ارتكز الخطاب الحجاجي عند الوهراني على منظومة من الآليات والوسائل التي يُمكن تبنيها وتحليلها وفق الإجراءات المنهجية الآتية:

2. السياق

كُتب هذا النص ضمن حقبة تاريخية اتسمت بالاضطراب السياسي والسيولة الأمنية (القرن السادس الهجري)؛ وهي المرحلة التي شهدت تصاعد الوجود الصليبي في الأراضي الإسلامية، وتفشي مظاهر الفساد في

المؤسسات السياسية والاجتماعية، مما ألقى بظلاله القاتمة على نتاج الحقبة الأدبي. وفي خضم هذا التأزم، برزت القاهرة كمركز ثقل محوري في الفضاء الإسلامي (سياسيا وثقافيا)، مما جعلها القبلية المنشودة لكل الطامحين في تحصيل الأمجاد العلمية والأدبية وفق مقتضيات ذلك العصر. وهنا تجلت معاناة الوهراني في عمق الهوة بين طموحاته والواقع المعاش؛ إذ أخفق في الاندماج ضمن النخبة الرسمية من كُتّاب الدواوين أو شعراء البلاط المبرزين. ويُعزى هذا الإقصاء، في جزء منه، إلى تركيبته النفسية الخاصة التي نأت به عن الأطر التقليدية، ليُصنف ضمن زمرة الأدباء الهامشيين الذين أبدعوا خارج الدوائر الرسمية. وقد تفاقمت هذه الأزمة بفشل رحلته المشرقية التي عوّل عليها كثيرا أسوة بأقرانه من مغاربة العصر، بيد أنه ظل متمسكا بهويته المغربية وخصوصيته الثقافية، وهو ما يظهر جليا في نسيج رسائله ومقاماته ومناماته.

ويمكن القول إن عامل الإخفاق هذا مثّل نقطة التحول المركزية التي دفعت به لمحاولة ردم الفجوة العميقة بين رؤيته الأدبية وواقعه المعاش، وذلك عبر استدعاء كل ما هو نقيض ومستغرب وعجيب. وقد أدى هذا المنزع الفني إلى اضطباع كتاباته بنبرة حادة من السخط والتهكم، والاستخفاف بالمعايير الاجتماعية السائدة، والزهد في التعويل على الآخرين؛ إذ تساوت في نظره المتناقضات، فلم يعد يفرق بين قريب أو بعيد، أو بين الجد والعبث، وراح يستغرق في ذمّ الدنيا وهجاء معاصريه، فلم يتوانَ عن كشف النقاب عن كل رذيلة أو نقيصة رصدتها في بنية مجتمعه، معتمدا في ذلك استراتيجية خطابية تراوح بين التصريح الفاضح والتلويح المبطّن.

3. أطراف الحوار

بغية الكشف عن مقاصد المتكلم وأبعاده الغرضية، يستند التحليل التداولي إلى الإجابة عن تساؤلات جوهرية، بتحديد هوية المرسل وطبيعة المتلقي، واستجلاء السياقين الزمني والمكاني، واستنباط الغايات المتوخاة، مع الوقوف على سبب اختيار القالب الأسلوبي. ومن هنا، يمكن تحديد أطراف الحوار في العملية التخاطبية في المنام الكبير للوهراني على النحو الآتي:

1.3 منتج الخطاب ومرسله

هو أبو عبد الله محمد بن محرز الوهراني (ت 1575م) (خلكان، (د ت)، صفحة 385)، لُقّب بركن الدين وقيل جمال الدين، وهو أديب جزائري المنشأ، عاصر تحولات القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). وُلد في كنف الدولة المرابطية بمدينة وهران؛ حيث نشأ تحت سلطتها وشهد مخاضاتها الكبرى، وصولا إلى أفول نجمها واستيلاء الموحدين على زمام الحكم. وقد نهل، في هذا الخضم السياسي المتلاطم، من معارف عصره، متبحرا في العلوم الإسلامية واللغوية، ومستظها قدرة فائقة على الإنشاء والكتابة الديوانية، مما وُلد لديه طموحا في بلوغ مراتب الإبداع الرسمي. بيد أن واقعه في بلاد المغرب لم يفتح له أبواب الدواوين، رغم الحظوة التي نالها الشعراء في العهد الموحيدي بصفتهم حملة رسالة دينية واجتماعية؛ فكان ذلك حافزا له لشد الرحال نحو المشرق.

اشتمل رصيده الأدبي على ثلاث مقامات، اتخذ منها وسيلة لسرد قضايا سياسية مرتبطة بنظم الحكم وسير

الحكّام، وهي:

- المقامة الأولى: ركزت على المسح التاريخي والسيرى لعبد المؤمن بن علي وآل أيوب.

- المقامة الثانية (في صقلية): غلب عليها طابع المديح وذكر المناقب؛ إذ أثنى فيها على ثلة من رجال العصر، داعيا إلى الاحتفاء بالقاضي أبي القاسم عبد الله بن درياس، واصفا إياه بمكارم الشيم في ظل الدولة العباسية.

- المقامة الثالثة (في شمس الخلافة): تندرج ضمن أدب النقد الاجتماعي؛ حيث سبر فيها أغوار الاختلالات القيمية والدينية، مهاجما ظاهرة "أدعياء الفقه" الذين يتصدرون المجالس بغير علم، متخذًا من شخصية "شمس الخلافة" نموذجا رمزيا لهذه الفئة.

وأفرد رسالة في الطير استعرض فيها الخصائص الجمالية والوظيفية للطيور وأفضليتها على الإنسان والطبيعة. أما بقية مراسلاته، فقد اتخذت طابعا توجميا استهدف الأمراء والقضاة والأدباء؛ حيث لم تخلُ من صبغة تهكمية لاذعة طالت شخوصهم ومواقفهم.

وتُصنّف مناماته ضمن المكاتبات الأدبية التي تتقاطع بنويها مع رسالة الغفران للمعري؛ إذ يستلها بمقدمات ساخرة تحمل طابع العتاب الإخواني، ثم ينتقل إلى السرد الحلبي الذي يتألف من مشاهد متسلسلة ومواقف غرائبية. تجري أحداثها في فضاء يوم الحشر التخيلي، وبأسلوب يتسم بالبساطة والوضوح، نائيا بنفسه عن التعقيد اللغوي والاشتقائي المكثف الذي عُرف به المعري. وتنتهي بنية السرد لديه دائما بحركة مفاجئة أو ضجيج يُفضي إلى الاستيقاظ، ليختم النص باعتذار دبلوماسي لطيف موجه للمرسل إليه، محاكيا بذلك تقاليد كبار كُتّاب الرسائل المتمرسين.

واعتمد استراتيجية التناوم كحيلة فنية لاستدراج نوعين من المتلقين: المخاطب القريب المتمثل في صديقه العليبي، والمخاطب الغائب وهو القارئ المفترض. ومن خلال هذا المدخل، أرخى العنان لسرد العجائبي والغرائبي في العالم الآخر، مصورا لحظات الحشر والنفخ في الصور، ومستحضرا الهيبة الإلهية وحساب الملائكة وخزنة النار والميزان العظيم، وصراع العبور فوق الصراط بين الفوز بالجنة أو التردّي في مهاوي الجحيم.

واستدعى إلى فضاء منامه مزيجا متنافرا من الشخصيات (المعرفة والنكرة)، وأقحمها في سياقات مفعمة بالنقد اللاذع الذي قد يلامس في ظاهره حدود المحظور الشرعي. ومن خلال هذا المزج بين تداعيات التاريخ والأحداث المعاصرة، والتجارب الذاتية المريرة، والتقابل بين الواقع والخيال، والأنا والآخر، والنثر والشعر، نبعت تناقضات البوح في نسيجه السردية.

وقد عالج من خلال هذه اللقاءات قضايا اجتماعية وسياسية شائكة، أهمها: القيم المحسوبة، والفوارق الطبقيّة، وفساد القضاة، والأمراض الاجتماعية والأخلاقية، وأدب خطاب السادة والأعيان على سبيل الاستهزاء، وغير ذلك من القضايا التي يستنتجها كل قارئ لبيب، كما عرض موقفه من بعض القضايا الخلافية السياسية، كموقفه من صراع الأمويين والشيعة والصوفية والفاطميين والأيوبيين وغير ذلك.

2.3 متلقي الخطاب

هو "العليمي" (المحدث الحافظ جمال الدين) (ت 574 هـ) الشخصية المركزية المقابلة للوهراني في نص المنام الكبير؛ حيث يتخذ وسيلة لتجسيد التناقض بين المظهر الديني والمسلوك الدنيوي. ففي مشهد درامي يتسم بالرهبة والغربة ضمن مواقف يوم القيامة، يُصوّر لقاءهما وهما في حالة من الملاحاة والمحاكة اللفظية، التي يقطعها ظهور "مالك" خازن النار. فيستخدم الوهراني عنصر المفارقة الحجاجية حين يتدخل "مالك" ليقبض عليهما، ملقيا السلاسل في أعناقهما تمهيدا لسحبهما إلى سقر بهتم أخلاقية جسيمة (كالزنا واللواط والقوادة). وفي محاولة للاستعطاف الإقناعي، يتوسل العليمي بصفتهما العلمية والشرعية؛ فيدعي أن الوهراني من أهل القرآن وأنه هو من أهل الحديث، فلنا منه أن هذه الألقاب قد تعمل كحائط صد أمام العقاب. بيد أن رد "مالك" جاء حاسما بتعداد موبقاتهما السلوكية في الحياة الدنيا، كاشفا بذلك عن زيف التستور وراء الرداء الديني.

3.3 قناة التخاطب

وتتمثل أساسا في اللغة من خلال "المنام"، وعبر التخييلات والأوهام التي صوّرها الوهراني عن العالم الآخروي والعالم الخاص بغير الإنس بغرائبية عجيبة، قال فيها ما لا يستطيع أن يقوله بصريح العبارة عن مواقفه السياسية والفكرية والاجتماعية تجاه أحداث عصره؛ إذ إن طائفة من هذه "الأحلام" كانت أقنعة لمواجهة ظروف ومواقف سياسية واجتماعية في وقتها (المنصوري، 2002، صفحة 661).

4.3 زمن الخطاب

ينقسم إلى زمنين:

- زمن المنام: اللحظة التي استغرق فيها الوهراني في نومه.
- زمن السرد: وهو يوم القيامة (الزمن المتخيل لأحداث المنام).

5.3 مكان الخطاب:

العالم الآخروي (المحشر، الجنة، النار)، وعالم الجن والشیاطين.

4. الإشارات

تعدّ من الركائز الأساسية في التحليل التداولي، وهي الوسائل التي تربط النص بسياقه الخارجي (المقامي) وتعمل على رتق أجزاء الجمل لتحقيق الاتساق والانسجام. وتتجلى أهميتها في كونها لا تكتسب دلالتها الكاملة إلا من خلال الموقف التواصلية، وهي أنواع:

1.4 إشارات الشخصية

أوضح العناصر الإشارية الدالة على "الشخص" هي ضمائر الحاضر والمخاطب والغائب، وهي عناصر إشارية؛ لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تُستخدم فيه. (نخلة، 2002، صفحة 18)

والإشارات الماثلة في المنام هي:

- ضمير المتكلم: كما علمتَ (ص 19)، الذي خلقتني وبراني، يعيدني، شملي، أتراني، أحرق، تمنيتُ، أكون، أعبر (ص 20) وأنا (من الخوف على أسوأ حال)، أنساني، ما أقاسيه وأعانيه، قلتُ في نفسي، أنا رجل لا صبر لي، كنتُ أشتهي، العليبي يناديني، يغني لي، يغازلي، يسقيني (ص 24).
- ضمير المخاطب: يا سيدي، تأخذ، أنت، كنت، تدمنّ، لعلك تريد، تهجوني، صحائفك، تعمل، تضمّني، تفعل... وهي تدلّ على ضمير المخاطب المفرد "أنت" الذي يحيل إلى الحافظ العليبي.

2.4 الإشارات الزمنية

تدل على زمان يحدّده السياق بالقياس إلى زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمنية في الكلام، وإلا التبس الأمر على السامع أو القارئ، ومن الإشارات الزمنية في النص: يوم الدين (ص 18)، الدهر، الهواجر (الهجير)، شهري ناجر (وهما آخر أشهر السنة، وقيل شهري ناجر لأن الإبل كانت تنجر فيهما أي تمرض، وذلك إذا اشتد عطشها ويبدت جلودها (ص 19)، ثلاث سنين (ص 22)، طرقي النهار، الأصايل (ص 22)، ليلة وصول كتابه (ص 23)، اليوم العبوس، هذه الساعة، وغيرها من الإشارات الدالة على رحلة الوهراني الزمانية.

4.3 الإشارات المكانية

تُمثّل العناصر اللغوية التي تُحيل إلى فضاءات جغرافية أو اعتبارية، ويرتبط تأويلها الدلالي وتفسيرها الوظيفي ارتباطاً عضوياً بتموقع المتكلم (المرسل) في لحظة التلفظ، أو بإدراك المخاطب لحيز مكاني معلوم سلفاً، وتفرض طبيعة المكان وسياقه اختيار أدوات لغوية محددة تتناغم مع أبعاد القرب أو البعد أو الوجهة، مما يسهم في تحديد إحداثيات المشهد السردي بدقة وتوجيه ذهن المتلقي نحو المقصد المكاني المقصود. ومن الإشارات المكانية في المنام: غياض الميطور (ص 18) (الغياض: جمع "غيسة"، وهي الأجمة (مجمع الشجر والماء). والميطور قرية من قرى دمشق). النار كلست الكلاسة (ص 18) (كلس البناء؛ أي طلاه بالجبس، و"الكلاسة": الموضع الذي يعمل فيه الكلس. ويبدو من النص أن الوهراني يشير إلى حريق وقع بأحد المساجد فيجانس ويستمد منه معانيه. المحراب، المنبر، شحرور منين (ص 18): قرية في جبل نسير من أعماق دمشق. الجداول، المروج، حصن اللبوة (مكان في الشام)، بساتين الربوة (دمشق). عين سرده (ص 18)، وادي بردى، سوق أبل، عين جور، الساجور، الجنان. الأرباض (جمع رضى رضى المدينة والقصر وهو ما حولها من مساكن الجند وغيرهم). مدينة وقوص (كانت قاعدة لإقليم يعرف بأعمال القوصية بصعيد مصر في عهد الدولة الفاطمية إلى آخر أيام حكم المماليك (ص 19)... وغيرها من الإشارات المكانية التي تصف الأماكن الحقيقية أو المتخيلة في منام الوهراني.

5. الاستلزام الحوارية

يُمثّل محور التحليل التداولي عند غرايس (Grice)، الذي ركز بصفة أساسية على مفهوم القصدية في العملية التواصلية، وكيفية ضمان فاعلية الخطاب ونجاحه من خلال ما يُعرف بمبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب. وينص هذا المبدأ على ضرورة مساهمة طرفي الحوار بما يخدم الاتجاه المتوافق عليه للحديث. وتتفرع عن هذا المبدأ أربع قواعد جوهرية، يُمكن مقارنة تجلياتها في نص المنام وفق الآتي:

1.5 مبدأ الكم: يقتضي تقديم القدر المطلوب من المعلومات دون زيادة أو نقصان، وفي "منامات الوهراني"، نلاحظ خرقاً متعمداً لهذه القاعدة عبر الإطناب في وصف أهوال المحشر وتفاصيل عذاب الشخصيات، وهو خرق قصدي يهدف إلى تعميق الأثر الحجاجي والتهكمي.

2.5 مبدأ الكيف: يقوم على صدق القول؛ حيث لا يدلي المتكلم بمعلومات يعتقد بطلانها أو يفتقر إلى دليل عليها. وهنا يبرز التناسق مع عالم الغيب؛ فبينما يلتزم الوهراني شكلياً بحقائق دينية (الميزان، الصراط، الحساب)، فإنه يخرق هذه القاعدة من باب التخيل الأدبي، فينسب لمخلوقات غيبية (كالخزنة والملائكة) حوارات ساخرة لا تهدف لنقل حقيقة غيبية بقدر ما تهدف لنقد الواقع الاجتماعي.

3.5 مبدأ الأسلوب: يتعلق بوضوح العبارة وتجنب اللبس والغموض والترتيب المنطقي. ورغم الغرابة التي تغلف المنام، فإن الوهراني اعتمد أسلوباً يتسم بالتسلسل السردى؛ فالحوارات منسجمة، والأحداث مرتبة زمنياً من القبر إلى المحشر، مما جعل خطابه، رغم سخريته، مفهوماً وقادراً على إيصال الرسالة النقدية بوضوح للمتلقى.

4.5 مبدأ المناسبة: يشترط أن يكون الكلام ذا صلة بموضوع الحوار، ويظهر التزام الوهراني بها من خلال الربط الوثيق بين أفعال الشخصيات في الدنيا (الفساد، النفاق، المحسوبية) وبين مصيرها في المنام (المحشر)؛ فكل مشهد حوارى في الآخرة هو نتيجة موضوعية لسلوكياتهم التي انتقدتها في الواقع.

6. الافتراض المسبق

يشكل إحدى أهم الآليات التي تضمن انسيابية الخطاب التداولي؛ حيث ينطلق الطرفان من أرضية معرفية مشتركة وقواعد مضمرة لا تحتاج إلى تصريح، كونها تمثل المقدمات المنطقية الضرورية لصحة الملفوظ. وهذا ما عمد إليه الوهراني في تخيلاته؛ إذ افترض مسبقاً:

- الإيمان بحتمية الحساب، ووجود موازين للعدل، والجزاء والعقاب من خلال استدعاء مشهد المحشر. وهذا ما يمنح السخرية قوتها؛ لأن القارئ يدرك مسبقاً قدسية الموقف، مما يجعل تبذُّل الشخصيات فيه صدمةً تداولية مقصودة.

- معرفة القارئ بسلوك القاضي، مثلاً، في الواقع (اليقظة) من خلال وصف فساده في المنام، مما يحول المنام من مجرد حلم إلى وثيقة إدانة تعتمد ما هو مستقر في ذهن المتلقى.

7. القصصية

تُعد من المحاور المهمة في التداولية عند أوستن وسيرل، وتعني تلك الخاصية للكثير من الحالات والحوادث العقلية التي تتجه عن طريقها الأشياء إلى العالم، مثل: الحب، الرغبة، الأمل، القصد، التذكر، والخوف... فالقصد شرط في بلوغ الكلام تمامه، معتمداً ملاحظة أن الكلام يكون دليلاً على مقصود المتكلم، وعلى أن المتكلم أراد أن يبلغ مراده بمقصوده. (الشهري، 2001، صفحة 182)

ويمكن إبراز قصصية الوهراني من خلال الأساليب التي اعتمدها في منامه، خاصة الإنشائية منها:

1.7 التمني: مثال ذلك: لو أني مثل الحافظ العليبي الذي لا يقتني إلا الغلمان.

2.7 الرغبة: نلمسها من خلال الحوار الذي دار بين أبي المجد بن أبي الحكم والوهراني، حين سأله: «إلى أين تريد؟» فقال: «أردُّ الرقعة إلى صاحبها... هذه رقعة المؤيد بن عميد بعثها إلى رضوان خازن الجنة يطلب منه تطعيمه كمثرى عنابيا ورمانا كابلينا؛ لأنهما لا يوجدان إلا في الجنة». (الوهراني، 1998، الصفحات 32-33)

3.7 السخرية: تمثّل المرتكز الغرضي والجمالي الأبرز في النص؛ حيث عمد الوهراني إلى هندسة مشاهد المنام وفق بنية قائمة على التضاد والمفارقة (كالهجاء اللاذع في مقام المديح، والاستخفاف في مقام الهيبة)، فغدا مرآة محدبة تُضخّم العيوب وتكشف زيف المظاهر، مما يضع المتلقي أمام مسؤولية إعادة قراءة الواقع وتحليل شفرات الخطاب لاستخراج المعنى النقدي الكامن خلف ستار السخرية.

4.7 التضخيم والخوف: في قوله محدثا العليبي: «أما ترى خازن جهنم قد خرج من النار مبجل العينين (مفتوح العينين على آخرهما بسبب الدهشة أو الخوف...)»، في يده اليمنى مصطيحة (عصا طويلة يتوكأ عليها) وفي يده الأخرى السلسلة المذكورة في القرآن، وهو يدور في الموقف على اللأطة (الذين يقومون بالواط) والقوادين من أمة محمد ﷺ، ونحن متهمون بهذه الخلال الميشومة! (يقصد المشؤومة). (الوهراني، 1998، صفحة 26)

8. نظرية الحجاج

تُعد الطاقة المؤثرة في المتلقي، سواء في السلوك أو المعتقد. ولما كانت العملية التخاطبية تركز على النموذج التبليغي، وجب الاستعانة بصور وأساليب استدلالية حجاجية. (الرحمان، 2000، صفحة 51)

يستند الخطاب في المنام إلى تقنيات حجاجية مدروسة تهدف في جوهرها إلى الإقناع، منها:

1.8 آليات حجاجية بلاغية: منها:

التأطير: هو استراتيجية حجاجية تهدف إلى توجيه ذهن القارئ نحو قراءة محددة للنص، وينقسم إلى مكونات حجاجية تشمل: (التعريف والتقديم، والربط والانفصال، والشبيه بالمنطق...)، ويمكن تبينها من خلال المنام:

يعمد الوهراني في ممارسته الحجاجية إلى تأطير الظواهر والقضايا المبتوثة في منامه عبر آلية التحديد والتعريف؛ حيث يستهل رسالته بتعريف موضوعها وتحديد تخوم محتواها، مقدما بذلك استجابة معرفية للمسألة المطروحة، مما يسهم في ضبط المسار التأويلي للمتلقى وتوجيهه نحو الغرض المقصود منذ العتبات الأولى للخطاب، فيقول في ذلك: «وصل كتاب مولاي الشيخ الأجل... الإمام الحافظ، الفاضل الأديب، الخطيب المصقع الأمين، جمال الدين، ركن الإسلام، شمس الحافظ تاج الخطباء، فخر الكتّاب، زين الأمناء... على أنه وجد بين جوانح الخادم من نار الشوق أجيحا... حينئذ تناول الكتاب وكرّر نظره في أثناءه ليجاب عن فصوله المتضمنة فيه، فوجد صفرا من الأنباء، خاليا من أخبار البلد، عاريا من طرائف الأحوال، قد استفتحه بطلب الثأر من مزاح الخادم معه في كتابه الكريم المقدّم إليه من ثلاث سنين في مخاطبته بمجرد الاسم وحذف جميع الألقاب. (الوهراني، 1998، الصفحات 17-21)

ولا يقتصر التعريف الحجاجي للمنام على مجرد تأطير الظاهرة وتحديد ملامحها، بل يتجاوز ذلك إلى استراتيجية التقديم، وهي عملية انتقائية تداولية يعمد فيها الوهراني إلى إبراز مظاهر معينة وإخفاء أخرى لتحقيق

أقصى درجات التأثير في المتلقي، ويتجلى هذا النوع من الحجاج في أسلوب المفارقة التقديمية التي اعتمدها مع شخصية الحافظ العليي؛ إذ استهل خطابه بتقديم الحافظ في صورة "الشيخ الأمين" وال "غمام" الذي يُستسقى به، وهي صورة نمطية توحى بالوقار والقداسة، بيد أن هذا التقديم لم يكن إلا فخا حجاجيا لتعميق صدمة التحول اللاحق؛ حيث ينقلب الوهراني عليه في ثنانيا المنام، ليضعه في مواقف مذلة وسخيفة ترسم له أبشع صورة ممكنة، وهذا الانتقال من التعريف بالتبجيل إلى التعريف بالتحقير يهدف إلى تجريد الشخصية من حصانتها الاجتماعية والدينية أمام القارئ.

ومن الحجج التأطيرية التي تتوفر في بعض مشاهد المنام هي الرابطة وهي آلية حجاجية تقوم على إعادة تركيب عناصر واقعية مبعثرة وصياغتها في سياق جديد ومستحدث، فبدلاً من نقل الواقع كما هو، يعمد الوهراني إلى جلب شخوص وأحداث ومواقف مألوفة، ثم يربط بينها بروابط عجائبية لم تكن مجتمعة في اللحظة، مما يخلق تقارباً ذهنياً جديداً يخدم مقصده النقدي. ومن خلال الصفات التي ذكرها عن العليي، فإنه يواصل كشفه على أنه وجد طفلاً من أبناء الفلاحين اسمه يوسف بن بونيان، ففسق به حتى التحى (بلغ ونبتت لحيته)، ونشأ له أخ اسمه علافة ففسق به حتى التحى. (الوهراني، 1998، صفحة 44)، فهذه الحجج تفضح العليي بأسلوب ساخر، وبما أن الربط سمح لفهم الظاهرة الموجودة في المنام، فإن للانفصال دور في تأطيرها وتعيينها، ولتوضيح ذلك، يمكن الاستعانة بالثنائيات الضدية التي تشكل بانفصالها القائم على التضاد معنى يساعد على فهم الظاهرة وتأطيرها، كالآتي:

الصفة المدعاة (الظاهر)	الحقيقة (المبطن عند الوهراني)
الشيخ الأجل	ديوث
الحافظ	خبث
الخطيب	جاهل
الأمين	رجل قواد
ركن الإسلام	إمام اللأطة
تاج الخطباء	تاج الزناة

وتُعد الحجج الشبيهة بالمنطق من أكثر الأدوات تأثيراً في خطاب الوهراني؛ كونها تستعير صرامة الاستدلال العلمي والرياضي لتطبقها على قضايا إنسانية واجتماعية؛ حيث يغدو من الصعب التمييز بين الخيال السردى والبرهان المنطقي، ويتضح ذلك في الجوانب الآتية:

- يبني الوهراني حجته على فرضيات تبدو منطقية؛ فإذا كان الفساد يؤدي إلى الخراب في الواقع، فإن الاحتمال المنطقي يقتضي أن يكون مصير الفاسدين هو السقوط والتردي، وهذا الربط يجعل القارئ يتقبل النتيجة (العقاب في الآخرة) كأنها نتيجة برهانية محضة.

- يوظف إشارات لغوية تومئ إلى حقائق يعرفها المخاطب مسبقاً، مما يجعل المتلقي يوافق على المقدمات دون اعتراض، ومن ثم يجد نفسه مضطراً لقبول النتائج الساخرة التي يخلص إليها السرد، ومن أمثلة ذلك في المنام قوله:

«لو أن النار كلست الكلاسة، واشتملت على المحيط الشمالي، وعرست في العروس، وأذنت بهلاك المؤذنين... لما اقتصرت على المقصورة، ولا بردتها البرادة، حتى تصحن الصحن وتسر النسر... وترميكم بالخطب الفادح في الخطيب وتحريككم إياه في المحراب». (الوهراني، 1998، صفحة 18)

- الإيهام بالبرهان من خلال وصف المشاهد الغيبية بتفاصيل دقيقة (مثل الميزان، الصراط، السلاسل)، ويمنح الوهراني نصيبه من الخيال مسحة من الواقعية العلمية، فيبدو الانتقام من الخصوم في المنام ليس مجرد تشفي، بل حكما مبرهنا يستند إلى معطيات الفعل الإنساني.

- الاستعارة: تتحول في فضاء المنام من مجرد زخرفة لفظية إلى آلية حجاجية متكاملة الأركان؛ حيث تعمل كجسر إدراكي ينقل المتلقي من مستوى التجريد الذهني إلى مستوى التجسيد الحسي المقنع، ومن أمثلتها في المنام نجد: (الوهراني، 1998، صفحة 17)

- «وصل كتاب مولاي الشيخ زين الأمناء فخر الكتاب، وأعذب من الماء لجرح البعد من المراهم، وأحلى من الدراهم»

- وجد بين جوانح الخادم من نار الشوق أجيحا»

- فوجده الخادم الوهراني صفرا من الأنباء، خاليا من غرائب أخبار البلد، عاريا من طرائف الأحوال»

- الكناية: وهي كما أوردها عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز" في فصل في اللفظ يطلق وهو المراد به غير ظاهره: «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيؤمن به إليه ويجعله دليلا عليه» (الجرجاني، 1984، صفحة 60)، نلاحظ بالرجوع إلى المنام أنه يزخر بالكنايات؛ ومثال ذلك قول الوهراني في السخرية من العليي: «قام وقعد وأبرق وأرعد، وقال الحائط للوتد: لو تشقني؟ قال: سل من يدقني! لم يتركني وراء الحجر الذي من ورائي». (الوهراني، 1998، صفحة 64) عمد الوهراني لهذه الآلية لجلب المتلقي واستعمالها كدرع يختفي من ورائه دون أن يصرح به مباشرة، ووسيلة لإشراكه في لعبته لفهم المعنى.

2.8 آليات حجاجية لغوية: منها:

- التكرار: يُعد من أكثر الآليات الحجاجية تأثيرا في خطاب الوهراني؛ إذ يتجاوز كونه ظاهرة أسلوبية تزيينية ليصبح استراتيجية تداولية تهدف إلى ترسيخ الدلالة وتوجيه ذهن المتلقي نحو المقاصد المركزية للنص، وقد نهضت وظيفته الدلالية بعدة وظائف منها: التأكيد والترسيخ الدلالي، والتنبيه، والإيقاع الحجاجي والتأثير الوجداني من خلال الموسيقى الداخلية، وتكرار الموقف كبرهان.

- الحذف: يُعد آلية تداولية وحجاجية رفيعة المستوى في خطاب الوهراني؛ إذ تتمثل وظيفته في تحقيق الاتساق النصي واستثارة فاعلية المتلقي، ومثال ذلك: «فمشينا معه مقدار أربعة فراسخ»، (الوهراني، 1998، صفحة 52)، وهنا حذف زمني لما حدث في أثناء ذلك المشي.

- الإحالة: وفي ذلك ورد عن هاليداي ورقية حسن أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها (خطابي، 2004، صفحة 17)؛ ولهذا لجأ إليها الوهراني لما تحققه من اتساق وانسجام داخل النص، ومثال ذلك: «أترى الذي خلقي وبرأني يعيدني إلى جنة الزبداني» (الوهراني، 1998، صفحة 18)، وهو حوار داخلي يتمنى فيه الوهراني العودة إلى جنة الزبداني معتمداً ضمير المتكلم لتساعده على تضليل القارئ.

- الأمر: في مدحه كقوله: «كن عاقلاً وردها على صاحبها قبل أن تُطلب على باب الجنة بعشرة آلاف زربول (حذاء غليظ ثقيل)» (الوهراني، 1998، صفحة 33)، مستعينا بفعل الأمر "كن" الذي أفاد إعمال العقل لتفادي الخطأ والوقوع فيه، وهو لتنبية القارئ واستمالاته لمواقف مشابهة لذلك.

- الاستفهام: من خلال أدواته العديدة (مَن، ما، أين، أيان، أنى، كيف، كم، أي، متى)، وهذا ما نجده مكثفاً في المنام مثل: «هل لك أن تأتي الحوض؟» بعد أن اشتد عطش الكاتب وشيخه من كثرة محاوره عزرائيل والوقوف للحديث معه.

- النداء: باستعمال حروفه (يا، الهمزة، أي، آي، آيا، هيا، وا، آ)، ومثال ذلك: «يا سيدنا نظام الدين» (الوهراني، 1998، صفحة 51)، وفيه تعظيم وتقدير لشخص الوهراني.

9. خاتمة

اعتمد الوهراني السخرية لسبر أغوار المجتمع وفضح المسكوت عنه من مفاصد، وتوظيف صور مضحكة/ مبكية، وإضفاء صبغة واقعية ومؤثرة على خطابه الساخر، وظف جملة من الآليات التي مكنت المتلقي من معايشة الراهن والانفعال به، ويمكن إجمال أبرز هذه الملامح فيما يأتي:

- السخرية والتهكم: وهي المحرك الأساس للنص، وتعمل على نزع القداسة عن الشخصيات الفاسدة.

- الاستطراد والحشو: بالمفهوم الإيجابي الحجاجي، الذي يهدف إلى الإحاطة بجوانب القضية وتكثيف الأثر النفسي لدى القارئ.

- تكرار الصيغ: لترسيخ الدلالات المركزية وتأكيد المواقف النقدية عبر الإلحاح اللفظي.

- كثافة التفاصيل: التي تمنح المنام واقعية مفردة، مما يجعل المشاهد المتخيلة تبدو كأنها وقائع حية لا تقبل الشك.

- الأخبار والحوادث: استثمار الواقع المعاش وتحويله إلى مادة قصصية تدعم الحجة الحكائية.

- استخدام الكلمات العامية: لكسر حواجز اللغة الرسمية، والاقتراب من نبض المهمشين، وإضفاء طابع الشعبية والواقعية على السخرية.

- التضمين والاقتباس: استدعاء النصوص الدينية والأدبية السابقة لمنح الخطاب مرجعية قوية، أو لتوظيفها في سياقات ساخرة تُحدث مفارقة تداولية.

- الاشتغال على اللغة: عبر تطويع المفردات وصياغة تراكيب خاصة تخدم المقصد الساخر وتبرز براعة الوهراني في التلاعب بالمستويات اللغوية.

5. قائمة المراجع:

- بن خلكان، أبو بكر. (د ت). *وفيات الأعيان في أبناء الزمان*. (د ط). لبنان: دار صادر.
- بن ظافر الشهري، عبد الهادي. (2001). *استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية*. (ط 1). لبنان: دار الكتب الجديدة المتحدة.
- الجرجاني، عبد القاهر. (1984). *دلائل الإعجاز في علم المعاني*. (د ط). لبنان: دار المعرفة.
- خطابي، محمد. (2004). *لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، مقارنة تداولية*. (ط 1). لبنان: دار الكتب الجديدة المتحدة.
- عبد الرحمان، طه. (2000). *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام*. (ط 1). المغرب: المركز الثقافي العربي.
- المنصوري، جريدي. (2002). *الأحلام والتفكير الرمزي. علامات في النقد*. 11 (44)، 657- 673.
<https://archive.alsharekh.org/Articles/181/16516/371960>
- نحلة، محمود أحمد. (2002). *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*. (د ط). مصر: دار المعرفة الجامعية.
- الوهراني، ركن الدين محمد بن محمد بن محرز. (1998). *منامات الوهراني ومقاماته ورسائله*. (د ط). ألمانيا: منشورات الجمل.